

تفسير سورة الأنفال (35-40)

تفسير سورة الأنفال (35-40)

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)}

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ} صلاة المشركين {عِنْدَ الْبَيْتِ} العتيق {إِلَّا مُكَاءً} وهو الصفير {وَتَصَدِيَةً} وهي التصفيق. قال ابن إسحاق: ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلا مكاء وتصديّة، وذلك ما لا يرضى الله ولا يحب، ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به. {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} قال ابن جرير: فذوقوا: أي اطعموا، وليس بذوق بغم، ولكنه ذوق بالحس، ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله مُعَذِّبُكُمْ به على جحودكم توحيد ربه ورسالة نبيه صلى الله عليه وسلم.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)}

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} في حرب النبي صلى الله عليه وسلم ودينه {لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أي: ليصرفوا الناس عن دين الله {فَسَيُنْفِقُونَهَا} في حربهم {ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} أي: ندامةً وخزياً وذللاً {ثُمَّ يُغْلَبُونَ} فتذهب أموالهم وما أمّلوا {وَالَّذِينَ

كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} أي: يجمعون إليها، ليزوقوا عذابها.

{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)}

{لِيَمِيزَ} أي ليفصل {اللَّهُ الْخَبِيثَ} الكافر {مِنَ الطَّيِّبِ} من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ} أي: فوق بعض {فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} أي: يجمعه فيجعله في جهنم {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ (38)}

{قُلْ} يا محمد {لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا} عن الكفر، ويدخلوا في الإسلام {يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْوَأَخَذُ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أَخَذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.» وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» أخرج مسلم {وَإِنْ يَعُودُوا} أي يستمروا على كفرهم {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ} أي فقد مضت سنتنا في الأولين؛ أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعالجهم بالعذاب والعقوبة.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا  
فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (39)

{وَقَاتِلُوهُمْ} وقاتلوا أيها المؤمنون الكافرين {حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: لا يوجد شرك ولا يفتن مؤمن عن دينه {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} أي: ويكون الدين خالصاً لله وحده، ليس فيه شرك {فَإِنِ انْتَهَوْا} عن الكفر {فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه منهم خافية.

{وَإِن تَوَلَّوْا فاعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ  
(40)}

{وَإِن تَوَلَّوْا} عن الإيمان، واستمروا على خلافكم ومحاربتكم {فَاعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ} ناصركم ومعينكم {نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه.